مجلة علوم اللغة العربية
المجلد ٤، العدد ١٣، السنة ٢٠٢٦، الصفحات ١- ٢٠
ISSN: ٣٠٦٠-٥٥٨x ----- E-ISSN: ٣٠٦٠-٥٥٩٨
تاريخ الإرسال: ٢٠٢٦/٠٣/١٨ - تاريخ القبول: ٢٠٢٦/٠٩/٢١

Body Icons in the Qur'an: The Formation of Visual Identity in the Relation between Self and Other

Abdulbasit Arab Yousefabadi*
Assistant Professor of Arabic Language and Literature, University of Zabol, Zabol, Iran
arabighalam@uoz.ac.ir
Elham Ghorbani
Assistant Professor of Arabic Language and Literature, University of Zabol, Zabol, Iran
eghorbani@uoz.ac.ir

Abstract
This study employs a tri-level semiotic approach to examine how bodily icons in Qur'anic discourse are transformed from physiological descriptions into identity-defining markers that distinguish the self from the other, moving beyond traditional descriptive approaches confined to semantic and emotional levels. The study investigates the ideological mechanisms by which bodily icons shape visual identity and differentiate the believer from the unbeliever, and the hypocrite from the polytheist, focusing on three pivotal organs: the eye, the face, and the heart. Using a descriptive-analytical method, the study analyzes relevant Qur'anic verses across three ascending levels: the bodily signifier (movements and physiological states), the emotional signified (feelings and psychological states), and the ideological signified (the identity icon that determines religious affiliation and eschatological destiny). The findings reveal the Qur'an's transition from bodily signifiers—such as shifting gaze, blackened face, and sealed heart—to emotional signifieds—such as fear, joy, and tranquility—and finally to identity icons embodying faith or unbelief, through four semiotic mechanisms: duality, projection, fixation, and the dialectic between nature (fiṭrah) and divine legislation (tashrīʿ). The findings also disclose two strategies: constructing a visual identity that distinguishes believers and exposes hypocrites and polytheists, and consolidating self-surveillance through awareness of divine observation, transforming everyday action into worship.

Keywords: Qur'anic Discourse, Semiotics, Body Icons, Visual Identity, Self and Other.

أيقونات الجسد في القرآن: تشكيل الهوية البصرية بين الذات والآخر

عبدالباسط عرب يوسف‌آبادي*
أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة زابل، زابل، إيران
arabighalam@uoz.ac.ir
إلهام قرباني
أستاذة مساعدة في قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة زابل، زابل، إيران
eghorbani@uoz.ac.ir

ملخص

تتأسس هذه الدراسة على مقاربة سيميائية ثلاثية المستويات لكشف آليات تحول الأيقونات الجسدية في الخطاب القرآني من مجرد أوصاف فيزيولوجية إلى أيقونات هوياتية فاصلة بين الذات والآخر، متجاوزة النظرة الوصفية التقليدية التي حصرت دراسات لغة الجسد في القرآن في المستويين الدلالي والعاطفي المباشر. وتنطلق من إشكالية مركزية تتمثل في البحث عن آليات اشتغال الأيقونات الجسدية في الخطاب القرآني على مستوى الدلالة الأيديولوجية التي تشكل الهوية البصرية وتميز بين المؤمن والكافر، والمنافق والمشرك، مع التركيز على ثلاثة أعضاء محورية هي العين والوجه والقلب. تعتمد الدراسة المنهج الوصفي-التحليلي في تتبع الآيات القرآنية الواردة في هذه الأعضاء، وتحليلها وفق ثلاثة مستويات متدرجة: الدال الجسدي المتمثل في الحركات والهيئات الفيزيولوجية، والمدلول العاطفي المتمثل في المشاعر والانفعالات النفسية، والمدلول الأيديولوجي المتمثل في الأيقونة الهوياتية التي تحدد الانتماء الديني والمصير الأخروي. وقد أبرزت النتائج تحول القرآن من الدال الجسدي كشخوص البصر وسواد الوجه وختم القلب، إلى المدلول العاطفي كالخوف والفرح والاطمئنان، ثم إلى الأيقونة الهوياتية كتجسيد الإيمان أو الكفر وتحديد المصير الأخروي، وذلك عبر أربع آليات سيميائية هي الثنائية والإسقاط والتثبيت والجدلية بين الفطرة والتشريع. كما كشفت النتائج عن إستراتيجيتين في توظيف الجسد الأيقوني: بناء هوية بصرية تميز المؤمنين عن الكافرين وتفضح المنافقين والمشركين، وترسيخ الرقابة الذاتية والضبط الاجتماعي عبر الوعي بمراقبة الله وتحويل الحركة اليومية إلى طاعة وعبادة.

الكلمات المفتاحية: الخطاب القرآني، السيميائية، الأيقونات الجسدية، الهوية البصرية، الذات والآخر.

١. المقدمة

تُعد الأيقونات الجسدية من أقدم وسائل التعبير عن الهوية وأكثرها فاعلية في تشكيل العلاقة بين الذات والآخر، إذ يتجاوز الجسد كونه وعاءً بيولوجياً ليصبح علامة بصرية تحمل دلالات هوياتية عميقة تعكس ما يستبطنه الإنسان من إيمان أو كفر، وانتماء أو انفصال. وقد حفل النص القرآني بتصوير دقيق للحركات الجسدية والهيئات والأوضاع تعبيراً عن أعمق الحالات النفسية والروحية، محولاً إياها إلى علامات بصرية فارقة بين جماعة الإيمان وجماعة الكفر (يوسف، ٢٠١١: ٦). وقد وظف القرآن الفطرة الجسدية المشتركة بين البشر، إذ ترتبط السعادة بالابتسامة والحزن بالعبوس، وتتحول الإشارات الجسدية إلى أيقونات هوياتية تعبر عن الانتماء الديني (ربايعة، ٢٠١٠: ١٢).

وتتيح السيميائية فهماً أعمق لكيفية اشتغال هذه الأيقونات الجسدية في النص القرآني، فهي لا تتوقف عند الدال الحسي المادي كالعين والوجه والقلب وحركاتها، بل تتجاوزه إلى المدلولات العاطفية والنفسية كالخوف والفرح والطمأنينة، لتصل إلى المدلولات الأيديولوجية الكبرى التي يسعى النص إلى ترسيخها، ومن أبرزها تشكيل الهوية البصرية التي تميز الذات المؤمنة عن الآخر الكافر. وقد استوعب القرآن حقيقة أن لغة الجسد تشكل نسبة كبيرة من وسائل الاتصال، فوظف الإشارات الجسدية بتنوع سياقي مدهش، محولاً إياها إلى أدوات لبناء الهوية الجماعية وتشكيل الحدود بين الأنا والآخر وترسيخ القيم والنظم الأيديولوجية، إذ يوظف لغة الجسد بشكل مختلف بين المؤمنين والكافرين، فالكفار يستخدمونها للاستهزاء والإنكار، بينما يستخدمها المؤمنون للتعبير عن الحزن والسرور والخجل، مما يجعل هذه الإشارات أيقونات هوياتية تعكس الانتماء الديني وتميز الجماعات بعضها عن بعض (عطاشي، ١٣٩٧: ١٥٠).

ويتجلى امتياز تحليل الأيقونات الجسدية في القرآن في أن النص القرآني نفسه يعترف بقدرة الأعضاء على النطق والشهادة، ويجعل منها حجة دامغة على الإنسان في أشد المواقف هولاً، وهو يوم القيامة، مما يجعل تحليل هذه الأيقونات في الدنيا علماً ضرورياً، لأنها الترجمة الصادقة لما ستشهد به الأعضاء يوم القيامة. فالقرآن يوظف الجسد ليكشف ما تخفيه النفوس، مما يجسد آليات الضبط الاجتماعي والهوياتي من خلال مراقبة الجسد، ويجعل الأيقونات الجسدية وسيلة لكشف حقائق الهوية التي قد تخفيها الألسنة.

وعلى الرغم من تنوع الدراسات التي تناولت لغة الجسد في القرآن الكريم، فإن معظمها ظل محصوراً في المستويين الأولين: رصد الدوال الجسدية والكشف عن مدلولاتها العاطفية والنفسية المباشرة، دون تجاوز الوصف إلى التحليل الأيديولوجي العميق، أي إلى البحث في الكيفية التي يتم بها تحويل هذه العواطف والإشارات الجسدية الطبيعية إلى أيقونات هوياتية مفارقة بين الذات والآخر، وإلى تقنيات لبناء الهوية الجماعية والضبط الاجتماعي والرقابة الذاتية. ومن هنا ينبثق الإشكال المحوري الذي تسعى هذه الدراسة إلى معالجته، والمتمثل في البحث عن آليات اشتغال الأيقونات الجسدية في الخطاب القرآني على مستوى أعمق من الدلالة العاطفية المباشرة، أي على مستوى الدلالة الأيديولوجية التي تشكل الهوية البصرية وتميز بين الأنا والآخر.

تسعى الدراسة إلى الإجابة عن الأسئلة التالية:

-كيف يتحول القرآن من الدال الجسدي إلى الأيقونة الهوياتية التي تميز بين المؤمن والكافر؟
- ما هي الآليات السيميائية التي يعتمد عليها القرآن في تحويل الصور الجسدية الفطرية إلى أيقونات هوياتية ثابتة تحدد الانتماء الديني؟

١-١. خلفية البحث

على الرغم من الأهمية البالغة لموضوع سيميائية الجسد في الخطاب القرآني، ولا سيما في مجال تشكيل الهوية البصرية والتمييز بين الذات والآخر، إلا أن الدراسات التي تناولته من منظور يتجاوز الوصف العاطفي إلى التحليل الأيديولوجي والهوياتي لا تزال محدودة. وقد اتجهت معظم الدراسات السابقة إلى رصد الدوال الجسدية والكشف عن مدلولاتها العاطفية والنفسية المباشرة، دون التعمق في الكيفية التي تتحول بها هذه الدوال إلى أيقونات هوياتية فاصلة بين المؤمنين والكافرين، ودون استكشاف آليات تشكيل الهوية البصرية والضبط الاجتماعي من خلال الجسد الأيقوني. وفيما يلي عرض لأبرز الدراسات السابقة التي أسهمت في تأسيس هذا الحقل، مع بيان ما قدمته كل منها، والثغرات التي تركتها، والفرق بينها وبين الدراسة الحالية:

ربايعة (٢٠١٠)، في كتابه «لغة الجسد في القرآن»، يقدم مقاربة تأسيسية للتواصل غير اللفظي في القرآن، مركزاً على تعريف الإيماءات والإشارات الجسدية الواردة في النص القرآني وتصنيفها، ويُظهر أن القرآن وظف الفطرة الجسدية المشتركة بين البشر. غير أن هذه الدراسة تبقى في المستوى الوصفي التصنيفي، ولا تتجاوزه إلى التحليل الأيديولوجي العميق، ولا تبحث في كيفية تحول الإشارات الجسدية إلى أيقونات هوياتية تميز بين الفئات الإيمانية، وهو ما تسعى الدراسة الحالية إلى معالجته.

شهرزاد بن يونس (٢٠١٥)، في مقالتها «لغة الجسد في القرآن الكريم: مقاربة سيميولوجية لحركتي العين واليد»، تقف عند دلالات حركتي العين واليد باعتبارهما الأكثر توظيفاً في القرآن، وتتوصل إلى قدرتهما الفائقة على التعبير عن المشاعر الإنسانية العميقة بطريقة فطرية. لكن الدراسة تظل محصورة في المستوى العاطفي والنفسي، ولا تتعرض لكيفية تشكيل هذه الحركات لهوية بصرية تميز بين المؤمنين والكافرين، أو كيف تسهم في بناء نظام من الرقابة الذاتية والضبط الاجتماعي، وهي القضايا المحورية في الدراسة الحالية.

نظري وسخائي منش (٢٠١٩)، في مقالتهما «توظيف لغة الجسد في القرآن الكريم وفحص دلالاتها وترجمتها إلى اللغة الفارسية»، يبرزان البعد الثقافي للغة الجسد، إذ أظهرت النتائج أن ٧٠٪ من دلالاتها مشتركة بين العربية والفارسية. لكنهما لا يهتمان بالجانب الأيديولوجي أو الهوياتي، ويركزان على قضية الترجمة، وهو ما يختلف عن هدف الدراسة الحالية التي تسعى إلى الكشف عن آليات تشكيل الهوية البصرية.

بورعابد وآخرون (٢٠٢١)، في دراستهم «دراسة مقارنة للغة الجسد في القرآن وترجماتها الفارسية»، يكشفون أن معظم عبارات حركات اليد لها معادل ثقافي في الفارسية، مما يبرز الجانب الترجمي والتداولي للغة الجسد. لكن الدراسة تبقى في الإطار التقابلي الترجمي، ولا تتناول الجانب الهوياتي أو الأيديولوجي للجسد.

شريفي (٢٠٢٣)، في مقالته «بلاغة لغة الجسد في القرآن الكريم»، ينطلق من أن لغة الجسد تشكل نسبة كبيرة من وسائل الاتصال، ويتوصل إلى أن القرآن وظف الإشارات الجسدية بتنوع سياقي مدهش، مما يضفي بعداً بلاغياً يجمع بين الإعجاز اللفظي والإيمائي. لكن الدراسة تركز على الجانب البلاغي والتداولي، ولا تقدم تحليلاً للآليات التي تحول الإشارات الجسدية إلى أيقونات فاصلة بين الذات المؤمنة والآخر الكافر.

حيدرنجاد (٢٠٢٣)، في مقالة «لغة الجسد والسلوكيات غير اللفظية في القرآن»، يحلل ستة أنماط سلوكية لليد كعض اليدين ووضع الأصابع في الآذان، ويخلص إلى أنها تعكس مشاعر داخلية حقيقية. وتقترب منهجيته من الدراسة الحالية في التمييز بين الدال الجسدي والمدلول العاطفي، لكنها تبقى محصورة في أنماط محددة لليد، ولا تتناول أعضاء أخرى كالعين والوجه والقلب، ولا تبحث في البعد الهوياتي والأيديولوجي.

ومما تقدم يتضح أن الدراسات السابقة، على تنوعها وثرائها، قد اجتمعت على المستوى الوصفي العاطفي والدلالي، ولم تتجاوزه إلى المستوى الأيديولوجي والهوياتي الذي تبحث فيه هذه الدراسة عن آليات تحول الجسد من وعاء بيولوجي يعبر عن المشاعر إلى أيقونة هوياتية فاصلة بين الذات والآخر، كاشفة عن الانتماء الديني ومعززة للضبط الاجتماعي والرقابة الذاتية. وهذا يمثل الفجوة البحثية التي تسعى الدراسة الحالية إلى سدها، مقدمة نموذجاً تحليلياً ثلاثي المستويات يرتقي من الدال الجسدي إلى المدلول العاطفي إلى الأيقونة الهوياتية.

٢. الأيقونات الجسدية في القرآن الكريم

يتأسس مفهوم الأيقونة الجسدية في القرآن على فكرة أن الجسد ليس مجرد وعاء بيولوجي يؤدي وظائف عضوية، بل هو علامة بصرية تحمل في طياتها دلالات هوياتية عميقة (المعادي، ٢٠٠٤: ٣٦)، تجعل من الإنسان كائناً مرئياً تعكس هيئته وحركاته وسكناته ما يستبطنه من إيمان أو كفر، وما ينتمي إليه من جماعة أو ينفصل عنها. يتحول الجسد في القرآن من كونه مجرد مادة بيولوجية إلى نص دال يحمل معاني متعددة تتجاوز الوصف العضوي إلى التأويل الرمزي والأيديولوجي، إذ تنوعت الاستعمالات الدلالية لأعضاء الجسد في القرآن الكريم بين المعاني الحقيقية الفسيولوجية والمعاني المجازية التي تتجاوز الوصف العضوي لتشمل قضايا وجودية وإيمانية وأخلاقية (أيدن وإبراهيم، ٢٠٢٤: ٢). فالأيقونة الجسدية في المنظور القرآني تعني تلك الصورة الحسية المتجسدة في العين والوجه والقلب وغيرها من الأعضاء، والتي تتحول من كونها مجرد أوصاف فيزيولوجية إلى رموز

هوياتية فاصلة بين الذات المؤمنة والآخر الكافر، وبين جماعة الحق وجماعة الباطل، إذ يوظف القرآن أعضاء جسد الإنسان لدلالات حقيقية ومجازية تتجاوز الوصف العضوي إلى التأويل الإيماني والأيديولوجي.

لا تعكس هذه الأيقونات الهوية في الدنيا فحسب، بل تمتد دلالتها إلى اليوم الآخر حيث تتجسد المصائر على الوجوه والأبصار والقلوب تجسداً مادياً يراه الخلائق بأبصارهم، فتكون الأيقونة الجسدية حينئذ سجلاً خالداً للهوية الأبدية. وقد أشار القرآن إلى هذا المبدأ في آيات عدة تربط بين هيئة الجسد ومصير صاحبه، كما في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ (القيامة: ٢٢) وقوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ (القيامة: ٢٤)، حيث أصبح الوجه أيقونة بصرية تعبر عن الهوية الإيمانية أو الكفرية بشكل ملموس ومشهود.

سنعرض في هذا القسم أنواع الأيقونات الجسدية الرئيسة في القرآن الكريم، وهي ثلاثة أعضاء محورية: العين والوجه والقلب، إذ تشكل أيقونات بصرية مركزية تعكس الهوية الإيمانية وتكشف عن الانتماء الفئوي، وتجعل الإيمان والكفر مرئيين ومحسوسين. وسيتم تحليل كل أيقونة وفق منهجية ثلاثية المستويات: الدال الجسدي المتمثل في الحالات الفيزيولوجية والحركات الطبيعية، ثم المدلول العاطفي الذي تعبر عنه من خوف وفرح وحزن وطمأنينة، ثم المدلول الأيديولوجي والهوياتي الذي يحولها إلى رموز فاصلة بين الذات المؤمنة والآخر الكافر، وكاشفة عن الانتماء الديني والمصير الأخروي، وذلك من خلال تتبع الآيات القرآنية الواردة في كل عضو وتحليلها وفق هذه المستويات.

٢-١. أيقونات العين

تشكل العين في القرآن أيقونة بصرية محورية تعكس الهوية الإيمانية للإنسان وتكشف عن انتمائه الفئوي، وذلك من خلال تنوع حركاتها وحالاتها الفيزيولوجية التي تحمل دلالات هوياتية عميقة. فالقرآن يقدم العين كمرآة للنفس تعكس ما فيها من إيمان ويقين، أو كفر وشك، أو خوف واضطراب، وذلك من خلال رصد حالاتها المختلفة كشخوص البصر، وزوغانه، ودورانه، وفيضان الدمع، وابيضاضه، وإقراره، وثباته. وكل حالة من هذه الحالات تشكل أيقونة بصرية تميز بين فئة المؤمنين وفئة الكافرين، وبين الذات المتمايزة والآخر المختلف، وبين من يستحق النعيم ومن يستحق العذاب. وقد جعل الله العين أهم حاسة من حواس الإنسان التي يدرك بها المرئيات بكل أشكالها وألوانها، وتنقل لنا صوراً أدق نتمكن من خلالها قراءة كل ما يعتري النفس البشرية من حالات نفسية ومشاعر مكبوتة ومكنونات (العبودي والعبودي، ٢٠١٦: ١٢٦).

وعلى مستوى الدال الجسدي، ترد العين في القرآن كعضو بصري يدرك به الإنسان العالم الخارجي، وتتنوع حركاتها الطبيعية وحالاتها الفيزيولوجية لتشمل شخوص البصر واتساع الحدقة، وزوغان البصر وميله، ودوران العين في محجرها، وفيضان الدمع وانسكابه، وابيضاض العين من شدة الحزن، وإقرار العين وطمأنينتها، وثبات البصر وعدم زوغانه. وهذه الحالات جميعها تمثل أيقونات

جسدية مادية يمكن ملاحظتها ووصفها. وتعبر أفعال العين في القرآن كالبصر والنظر والرؤية عن دلالات متنوعة كالذل والخشوع والزيغ والتأمل والاستسلام، وكل فعل منها يحمل خصوصية استعمال قرآني تميزه عن غيره (العبودي والعبودي، ٢٠١٦: ١٢٨). ويمكن تصنيف هذه الحالات في أقسام كبرى تجمع المتشابه منها وتكشف عن دلالاتها الهوياتية، وهي: أيقونات الخوف والاضطراب، وأيقونات الحزن والأسى، وأيقونات الطمأنينة والثبات.

أيقونات الخوف والاضطراب: يتجلى الخوف في العين من خلال حالات ثلاث متدرجة في الشدة: شخوص البصر، وزوغانه، ودورانه. فقد ورد شخوص البصر واتساع الحدقة في قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ (إبراهيم: ٤٢)، حيث تدل كلمة تشخص على فتح العينين بشكل واسع دون أن تطرف، مع جمود البصر واتساع الحدقة، وهي حالة فيزيولوجية تصيب الإنسان عند المفاجأة بهول أو فزع شديد (أبوعياش، ٢٠٠٥: ١٢٣). وتتحول هذه الأيقونة إلى مدلول عاطفي يتمثل في الفزع والرعب الشديدين اللذين يتملكان الظالمين يوم القيامة، ثم إلى مدلول أيديولوجي يتمثل في الخوف من أهوال يوم القيامة وحساب الله، حيث أصبحت العين الشاخصة أيقونة تميز هوية الظالمين وتجعل مصيرهم الأليم مشهوداً أمام الخلائق.

وورد زوغان البصر وميله في قوله تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ (الأحزاب: ١٠)، فزوغان البصر يعني ميل العين عن سننها وعدم استقرارها في اتجاه واحد، وهي حركة لا إرادية تحدث عندما يسيطر الخوف والهلع على النفس. وتتحول هذه الأيقونة إلى مدلول عاطفي يتمثل في الحيرة والاضطراب الذي أصاب المؤمنين أثناء غزوة الأحزاب، ثم إلى مدلول أيديولوجي يتمثل في اختبار الإيمان وتعرض المؤمنين لمواقف تفرز هوياتهم الحقيقية، حيث ميزت هذه الأيقونة بين من ثبت قلبه ومن اضطرب.

وورد دوران العين كالمغشي عليه في قوله تعالى: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ (الأحزاب: ١٩)، فدوران العين هنا يعني حركتها الدائرية غير المستقرة، كما يفعل الذي يُغشى عليه من شدة الخوف وسكرات الموت. وتتحول هذه الأيقونة إلى مدلول عاطفي يتمثل في الجبن والخوف والتردد الذي يتملك المنافقين عند اشتداد المعركة، ثم إلى مدلول أيديولوجي متمثل في كشف حقيقة المنافقين وفضح نفاقهم، حيث أصبح دوران العين أيقونة بصرية تميز المنافقين عن المؤمنين وتجعل هويتهم الحقيقية مرئية للجميع، فيتجسد بذلك الضبط الاجتماعي من خلال مراقبة الجسد وكشف ما تخفيه النفوس.

أيقونات الحزن والأسى: يتجلى الحزن في العين من خلال حالتين متقاربتين: فيضان الدمع، وابيضاض العين. فقد ورد فيضان العين بالدمع في موضعين كريمين: الأول في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ (المائدة: ٨٣)، والثاني

في قوله تعالى: ﴿تَوَلَّوْا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ﴾ (التوبة: ٩٢)، ففيضان الدمع يعني امتلاء العين بالدموع حتى تنساب على الخدين، وهي استجابة جسدية طبيعية لمشاعر الحزن العميق أو التأثر الشديد. وتنتقل هذه الأيقونة إلى مدلول عاطفي يتمثل في الحزن الشديد والأسى والتأثر، ثم إلى مدلول أيديولوجي يتمثل في البكاء خوفاً من الله أو حزناً على عدم الجهاد، حيث أصبح فيضان الدمع أيقونة تميز المؤمنين الصادقين الذين تتأثر قلوبهم بآيات الله.

وورد ابيضاض العين من الحزن في قوله تعالى: ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (يوسف: ٨٤)، فابيضاض العين هو تغير في لونها وسوادها إلى البياض بسبب شدة الحزن وكثرة البكاء، وهي ظاهرة فيزيولوجية تحدث عند فقد عزيز مع طول البكاء. وتكمن دقة التعبير القرآني في جعل العين مرآة تنقل أعمق صور الأسى والكمد الدفين، كما في عيني يعقوب اللتين جسدتا معاني الصبر الجميل والحزن المكنون (العبودي والعبودي، ٢٠١٦: ١٢٧). وتتحول هذه الأيقونة إلى مدلول عاطفي يتمثل في الأسى العميق والكمد الدفين، ثم إلى مدلول أيديولوجي يتمثل في تجسيد صبر المؤمنين على البلاء وفداحة المصاب.

أيقونات الطمأنينة والثبات: تتجلى الطمأنينة في العين من خلال حالتين: إقرار العين، وثبات البصر. فقد ورد إقرار العين وطمأنينتها في ثلاثة مواضع قرآنية: الأول في قوله تعالى: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلاَ تَحْزَنَ﴾ (القصص: ١٣)، والثاني في قوله تعالى: ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا﴾ (مريم: ٢٦)، والثالث في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ (الفرقان: ٧٤)، فقرة العين تعني أن تكون العين باردة هادئة مستقرة، وهي حالة فيزيولوجية تعكس الرضا والسرور واطمئنان النفس. وتنتقل هذه الأيقونة إلى مدلول عاطفي يتمثل في الرضا والفرح والسرور والاطمئنان، ثم إلى مدلول أيديولوجي يتمثل في البشارة بالنعيم وربط السعادة بالطاعة والصلاح.

وأخيراً ورد ثبات البصر وعدم زوغانه في قوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ (النجم: ١٧)، وهي حالة فيزيولوجية نادرة تعبر عن ثبات النظر وعدم انحرافه، وقد حدثت للنبي ﷺ ليلة المعراج حيث ثبت بصره أمام المشاهد العظيمة. وتحمل أفعال العين من بصر ونظر ورؤية خصوصية استعمال قرآني يعكس دلالات دقيقة، فالبصر هنا لا يقتصر على الإبصار الحسي بل يتجاوزه إلى ثبات اليقين ورسوخ الإيمان. وتتحول هذه الأيقونة إلى مدلول عاطفي يتمثل في الاطمئنان والقوة النفسية، ثم إلى مدلول أيديولوجي يتمثل في كمال الإيمان ورسوخ اليقين عند رؤية الآيات الكبرى.

٢-٢. أيقونات الوجه

يمثل الوجه في القرآن أيقونة جسدية بالغة الأهمية في تشكيل الهوية البصرية، إذ هو المرآة التي تعكس ما في النفس من إيمان أو كفر، وسعادة أو شقاء، ونعيم أو عذاب. فالوجه بتغيرات ملامحه الفيزيولوجية من بياض ونضارة إلى سواد واغبرار، ومن إسفار وإشراق إلى عبوس وتقطيب، ومن طمأنينة واستقامة إلى ذلة وخشوع، يصبح أيقونة تحمل دلالات هوياتية عميقة، تميز بين جماعة

المؤمنين وجماعة الكافرين، وبين الذات المتقبلة للهداية والذات المعرضة عنها. وقد وظف القرآن الفطرة الجسدية المشتركة بين البشر، حيث ترتبط السعادة بالابتسامة والحزن بالعبوس، مما يؤكد أن الإشارات الجسدية في القرآن تعكس حقائق كونية موحدة، ويجعل الوجه أيقونة عالمية تعبر عن الهوية الإنسانية في أبعادها الروحية والدينية (ربايعة، ٢٠١٠: ١٢). وتكتسب تعابير الوجه أهميتها من كونها قناة أساسية للتواصل غير الشفهي، إذ يمكنها أن توسع قدرتنا في التعبير عن المعاني التي قد تعبر عنها اللغة بشكل أقل كفاءة (السيد وإبراهيم، ٢٠١٧: ١٥٤).

وعلى مستوى الدال الجسدي، يظهر الوجه في القرآن بوصفه المرآة العاكسة للحالة النفسية للإنسان، حيث تتغير ملامحه الفيزيولوجية بين البياض والسواد، والنضارة والعبوس، والصفاء والاغبرار، والإسفار والبسورة. وهذه التغيرات جميعها تمثل أيقونات جسدية مادية يمكن ملاحظتها ووصفها، وهي استجابات فيزيولوجية طبيعية تعكس حالات نفسية عميقة، وتؤدي دوراً خطابياً مهماً في إيصال المعاني وكشف المشاعر الضمنية. ويمكن تصنيف هذه الحالات في قسمين كبيرين: أيقونات النعيم والرضا، وأيقونات الشقاء والخزي.

أيقونات النعيم والرضا: يتجلى النعيم في الوجه من خلال حالتين: البياض والنضارة، والإسفار والإشراق. فقد ورد بياض الوجه ونضارته في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ (آل عمران: ١٠٦)، وفي قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ (القيامة: ٢٢)، فبياض الوجه ونضارته يدلان على صفائه وإشراقه، وهما حالة فيزيولوجية تعكس السرور والبهجة. وتنتقل هذه الأيقونة إلى مدلول عاطفي يتمثل في الفرح والسرور والبهجة التي تغمر قلوب المؤمنين يوم القيامة، ثم إلى مدلول أيديولوجي يتمثل في نعيم الجنة والنظر إلى وجه الله الكريم، حيث أصبح بياض الوجه ونضارته أيقونة تميز المؤمنين الذين فازوا برضوان الله. وهذا ما أكدته آية سورة القيامة التي ربطت النضرة بالنظر إلى الرب، كما في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (القيامة: ٢٢-٢٣)، حيث اقترن إشراق الوجه بالنظر إلى الله تعالى، فكانت النضرة علامة على حال أهل الجنة ومقامهم عند ربهم، وكاشفة عن تعلق قلوبهم به وشوقهم إلى لقائه.

وورد إسفار الوجه وإشراقه في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ (عبس: ٣٨)، فالإسفار يعني الإشراق والوضوح، وهو حالة فيزيولوجية تعكس الطمأنينة والانشراح. وتتحول هذه الأيقونة إلى مدلول عاطفي يتمثل في الطمأنينة والرضا والانشراح، ثم إلى مدلول أيديولوجي يتمثل في فرح المؤمنين بما آتاهم الله من فضله، حيث أصبح الإسفار أيقونة تميز هوية المؤمنين الذين ينالون رضا الله وثوابه، وتجعل فرحتهم مشهودة ومعلنة أمام الخلائق.

أيقونات الشقاء والخزي: يتجلى الشقاء في الوجه من خلال حالات أربع: السواد والاغبرار، والعبوس والبسورة، وسواد الوجه عند البشرى، وخشوع الأبصار مع الذلة. فقد ورد سواد الوجه واغبراره واقتتاره في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ (عبس: ٤٠-٤١)، فسواد الوجه

واغبراره واقتتاره تعكس تغيرات في لون البشرة وملمسها ناتجة عن شدة الكآبة والغم والانقباض النفسي. وتتحول هذه الأيقونة إلى مدلول عاطفي يتمثل في الحزن والكآبة والغيظ، ثم إلى مدلول أيديولوجي يتمثل في الخزي والعار في الآخرة والذلة الأبدية، حيث أصبح سواد الوجه واغبراره أيقونة تميز الكافرين الذين ينالون الخزي الأبدي والعذاب المستمر، وتجعل هويتهم الكفرية مكشوفة ومشهودة أمام الخلائق.

وجاء عبوس الوجه وتقطيبه في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ (القيامة: ٢٤)، فالبسورة تعني تقطيب الجبين وتجهم الوجه، وهي حركة عضلية تعكس حالة من الانقباض الشديد. وتنتقل هذه الأيقونة إلى مدلول عاطفي يتمثل في الخوف الشديد والكآبة والانقباض النفسي، ثم إلى مدلول أيديولوجي يتمثل في رهبة يوم القيامة واستقبال العذاب الأليم، حيث أصبح العبوس أيقونة تميز هوية الكافرين الذين يستقبلون عذاب الله بوجوه مكفهرة من شدة الهول والخوف. وتحمل تعابير الوجه في الآخرة دلالات بلاغية عميقة، إذ تعكس المصير الأخروي للإنسان من خلال هيئة وجهه، فتكون نضارة الوجه أو عبوسه دليلاً بليغاً على السعادة أو الشقاء الأبدي (السيد وإبراهيم، ٢٠١٧: ١٦٢).

كما ورد في سورة القلم وصف خاشعة الأبصار مع الوجه: ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ (القلم: ٤٣)، وتنتقل هذه الأيقونة إلى مدلول عاطفي يتمثل في الذل والخضوع والانكسار الذي يغمر الكافرين يوم القيامة، حيث يخفضون أبصارهم من شدة الخزي والعار. ثم إلى مدلول أيديولوجي يتمثل في هوان الكافرين وخضوعهم بعد العزة التي كانوا عليها في الدنيا، حيث أصبحت الذلة أيقونة تميز هوية الكافرين المهانين في الآخرة، وتجعل مصيرهم محسوساً ومشهوداً، مما يرسخ في وعي المؤمنين معنى العدالة الإلهية التي تضع كل إنسان في منزلته التي يستحقها. فالخشوع حقيقته الخضوع والتذلل، ووصف الأبصار به مجاز في الانخفاض والنظر من طرف خفي من شدة الهلع والخوف مما تشاهده من سوء المنقلب (ربايعة، ٢٠١٠: ٣٧)، فتصور هذه الحالة الجسدية من الذل والخشوع حالة ذات دلالة واضحة عميقة يعجز اللسان عن وصفها إلا بما وصفها به الله تعالى، إذ لا تقتصر تعابير الوجه في الآيات القرآنية على وصف الحالات العاطفية فحسب، بل تتجاوز ذلك إلى بلاغة إيحائية تهدف إلى التأثير في المتلقي وإيصال المعاني الدينية والأخلاقية من خلال الحركة واللفتة والإشارة.

وتقدم الثنائية القرآنية البارزة في آيات آل عمران ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ (آل عمران: ١٠٦) أبلغ تجسيد لهذه الوظيفة الأيديولوجية، فلا تظل الهويات في دائرة المجرد بل تتجسد على وجوه البشر حضوراً مادياً في المشهد الأخروي، فبياض الوجه صار أيقونة للذات المؤمنة وسواده أيقونة للآخر الكافر، مما يجعل التمايز الهوياتي مرئياً ومحسوساً لكل الخلائق. يستخدم القرآن هذه الثنائيات الجسدية لتثبيت الهويات وجعل المصائر محسوسة وملموسة، مما يعزز الأثر

التوجيهي والتربوي للنص القرآني (الأغبر، ٢٠٢٣: ٥٩). وهكذا يصبح الوجه في القرآن أيقونة مركزية تجمع بين الانعكاس النفسي والتسجيل الأخروي، وتؤدي دوراً محورياً في بناء الهوية البصرية التي تميز بين الأنا المؤمن والآخر الكافر، وبين من يستحق النعيم ومن يستحق العذاب.

٢-٣. أيقونات القلب

يُعد القلب في القرآن أيقونة جسدية متفردة، إذ يتحول من مجرد عضو جسدي يصفه القرآن بالمرض والختم والزيغ والقسوة والانشراح والاطمئنان، إلى العلامة الأيديولوجية الكبرى التي تحدد هوية الإنسان الإيمانية ومصيره الأخروي. فهو مستودع الإيمان واليقين، ومصدر النوايا والدوافع، ومحور التقييم الإلهي للإنسان، وبه تتحدد درجة الانتماء إلى جماعة المؤمنين أو جماعة الكافرين، وهو الميزان الحقيقي لقياس درجة الإيمان واليقين (عبد، ٢٠١٩: ٣٧٧). وقد تعددت في القرآن التعبيرات الدالة على أحوال القلب، فمنها ما يشير إلى حالات السعة والانشراح والاطمئنان التي تميز هوية المؤمنين، ومنها ما يعبر عن حالات الانقباض والمرض والقسوة والختم والطبع والزيغ التي تميز هوية الكافرين والمنافقين والضالين، وهي مراحل متدرجة من حرمان القلب من الفطرة تبدأ بالزين ثم الران ثم القسوة ثم الختم والطبع (نعيم أميني، ١٣٨٨: ٢٥٥-٢٥٦).

وعلى مستوى الدال الجسدي، يُذكر القلب في القرآن كعضو مادي في وصفه بالمرض والختم والزيغ والقسوة والانشراح والاطمئنان، وهذه الأوصاف تمثل أيقونات جسدية تعبر عن حالات فيزيولوجية ونفسية معينة. وعلى مستوى المدلول العاطفي، يعبر القلب عن طيف من المشاعر والأحوال تمتد من الخوف والاضطراب والحزن إلى الطمأنينة والسلام والرضا. أما على مستوى المدلول الأيديولوجي فيتحول القلب إلى الأيقونة المركزية التي تحدد هوية الإنسان، وتجعل منه مؤمناً أو كافراً، صادقاً أو منافقاً، مهتدياً أو ضالاً، إذ إن القلب هو محل الإيمان واليقين، وهو العضو الذي به يعقل الإنسان ويهتدي (الطباطبائي، ١٩٩٤: ٩٣/٧). ويمكن تصنيف هذه الحالات في قسمين كبيرين: أيقونات الصلاح والطمأنينة، وأيقونات الانحراف والقسوة.

أيقونات الصلاح والطمأنينة: يتجلى الصلاح في القلب من خلال حالتين: الاطمئنان والانشراح. فقد ورد اطمئنان القلب وسكينته في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: ٢٨)، فالاطمئنان هنا يعني أن يبلغ القلب حالاً من الاستقرار والثبات لا يبقى معها محل للقلق ولا موضع للاضطراب، فيهدأ عند ذكر الله وتزول عنه الهموم. وتنتقل هذه الأيقونة إلى مدلول عاطفي يتمثل في السكينة والسلام الداخلي والرضا، ثم إلى مدلول أيديولوجي يتمثل في ثمرة الذكر وعلامة صحة الإيمان وقوته، حيث أصبح اطمئنان القلب أيقونة تميز هوية المؤمنين الصادقين الذين يجدون في ذكر الله طمأنينتهم، ويميزهم عن الكافرين الذين لا يجدون في ذكره إلا القلق والاضطراب (نعيم أميني، ١٣٨٨: ٢٧٥).

وورد انشراح القلب في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ (الزمر: ٢٢)، فالشرح يعني الانفتاح والسعة، وهو حالة تنشرح فيها الصدور وتتسع لقبول الهداية والحق دون ضيق أو حرج. وتتحول هذه الأيقونة إلى مدلول عاطفي يتمثل في السعة والهدوء والانفتاح، ثم إلى مدلول أيديولوجي يتمثل في قبول الهداية والتوفيق الإلهي وكمال اليقين، حيث أصبح انشراح القلب أيقونة تميز هوية المؤمنين الذين شرح الله صدورهم للإسلام، وأصبحت قلوبهم منفتحة على نور الإيمان والحق. وانشراح القلب هو من أعلى مراتب الصلاح القلبي، وهو الضد التام للختم والطبع، حيث يعكس استعداد القلب لقبول الحق وانفتاحه على نور الإيمان، وهذا الانشراح هو ما يميز المؤمنين الصادقين عن غيرهم.

أيقونات الانحراف والقسوة: يتجلى الانحراف في القلب من خلال حالات أربع: الختم والطبع، والمرض، والقسوة، والزيغ. فقد ورد ختم القلب وطبعه في قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ (البقرة: ٧)، وفي سورة النحل: ﴿طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ (النحل: ١٠٨)، فالختم والطبع يعنيان تغطية القلب وإحكام الإغلاق عليه، وهي حالة تمنع وصول الهداية والنور إلى القلب، وتجعل صاحبه في غفلة عميقة عن الحق. وتدل هذه المصطلحات على مراحل متدرجة من الانحراف القلبي تبدأ بالزين الذي هو أول مراحل غشاوة القلب، ثم الران الذي هو تراكم الذنوب على القلب، ثم القسوة التي تمنع القلب من التأثر بالذكر والموعظة، وأخيراً الختم والطبع وهما المرحلة النهائية التي يصل فيها القلب إلى حالة من الجمود الفكري والعقلي تجعله غير قابل للهداية (نعيم أميني، ١٣٨٨: ٢٦٨-٢٦٥). وتتحول هذه الأيقونة إلى مدلول عاطفي يتمثل في الحرمان من الهداية والغفلة والقسوة، ثم إلى مدلول أيديولوجي يتمثل في الطرد الإلهي والعقاب على الكفر والاستكبار، وهذا الختم ليس مجرد وصف لحالة نفسية، بل هو حكم إلهي وقضاء يقذفه الله في قلوب الكافرين جزاءً على كفرهم واستكبارهم (الطباطبائي، ١٩٩٤: ٩٣/٧)، مما يجعل هويتهم متسمة بالحرمان الأبدي من الهداية.

وتحدثت آيات مرض القلب في قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ (البقرة: ١٠)، فالمرض هنا ليس مرضاً عضوياً، بل هو خلل نفسي ومعنوي يتمثل في الشك والنفاق وضعف الإيمان، وقد وصفه القرآن بالمرض لأنه يؤثر في سلامة القلب كعضو روحي كما يؤثر المرض العضوي في سلامة الجسد. وتتحول هذه الأيقونة إلى مدلول عاطفي يتمثل في الضعف والاضطراب والحيرة، ثم إلى مدلول أيديولوجي يتمثل في النفاق وسوء الخاتمة والاستحقاق للعذاب، حيث أصبح مرض القلب أيقونة تميز هوية المنافقين الذين في قلوبهم شك وريبة، وتفضحهم وتكشف حقيقتهم للمجتمع. ومرض القلب هو بداية الطريق نحو الختم والطبع، فهو المرحلة التي يبدأ فيها القلب يفقد صفاءه وقدرته على تمييز الحق من الباطل، وإذا استمر هذا المرض دون علاج فإنه يؤدي إلى القسوة ثم الختم ثم الطبع.

وجاء وصف قسوة القلب في قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (الزمر: ٢٢)، والقسوة في أصلها صلابة تصيب القلب فتفقده اللين والانفعال، فيصبح مغلقاً أمام ذكر الله غير متأثر بالموعظة، فلا ينفذ إليه أثر الإيمان. وإذا ما انتقلنا من هذا الدال الجسدي إلى ما يحمله من شحنة نفسية، وجدنا أنفسنا أمام قلب أصابه الجفاء فلم تعد تنفع فيه الموعظة، ولم يعد يخشع للحق ولا يخضع له. ثم إن هذا الجفاء لا يقف عند حد العاطفة، بل يتحول إلى علامة أيديولوجية فاصلة، إذ يصبح القلب القاسي أيقونة تحمل هوية الكافر المعرض عن الحق، الذي لا تلين قلبه لذكر الله ولا تخشع جوارحه لآياته، فينغلق على نفسه في جمود روحي يحجبه عن نور الإيمان. ويبقى أن القسوة ليست حالة عابرة، بل هي مرحلة متقدمة من أمراض القلب، إذ يبلغ القلب فيها صلابة كصلابة الحجارة أو أشد، فيعجز عن استقبال أي أثر إيماني، وهي نتيجة حتمية للاستمرار في المعاصي والإعراض عن ذكر الله.

وأخيراً ورد زيغ القلب في قوله تعالى: ﴿فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ (المدثر: ٣١)، فالزيغ يعني الميل عن الحق والانحراف عنه، وهو حالة يعقبها الضلال وعدم الثبات. وتنتقل هذه الأيقونة إلى مدلول عاطفي يتمثل في الانحراف والضلال وعدم الثبات، ثم إلى مدلول أيديولوجي يتمثل في عقوبة نفسية على سوء الاختيار والاتباع للهوى، حيث أصبح زيغ القلب أيقونة تميز هوية الضالين الذين مالوا عن الحق واتبعوا أهواءهم، فختم الله على قلوبهم وزاغت عن الصراط المستقيم. والزيغ هو نتيجة طبيعية للانحراف الاختياري للإنسان، وهو من المراحل التي تسبق الختم والطبع، حيث يزيغ القلب عن الحق بسبب اتباع الهوى، ثم يتبعه الختم والطبع كعقاب إلهي على هذا الانحراف.

وهكذا يتجلى القلب في القرآن كأيقونة مركزية ومنبع للهوية، إذ يحمل في حالاته المختلفة من ختم واطمئنان ومرض وقسوة وانشراح وزيغ، دلالات هوياتية عميقة تميز بين المؤمن والكافر، والصادق والمنافق، والمهتدي والضال، ويجعل من القلب محوراً لتحديد الهوية الإيمانية للإنسان ومصيره في الدنيا والآخرة.

٣. آليات تشكيل الهوية البصرية

لا يكتفي القرآن بوصف الأيقونات الجسدية وعرضها كصور معزولة، بل يعمل عبر آليات سيميائية متعددة على تشكيل الهوية البصرية وتثبيتها في أذهان المخاطبين، وذلك من خلال تحويل هذه الأيقونات من مجرد أوصاف فيزيولوجية إلى رموز هوياتية فاصلة بين الذات والآخر، وبين جماعة الإيمان وجماعة الكفر. وتتمثل هذه الآليات في الثنائيات المتقابلة، والإسقاط العاطفي، والتثبيت الأيديولوجي، التي تعمل في تناغم لترسيخ الحدود بين الفئات المختلفة، وجعل الهويات مرئية ومحسوسة، مما يعزز الانتماء لدى المؤمنين ويقوي الرفض لدى الكافرين. اشتراك اللفظ والحركة أدعى للتأثير في النفس مما لو جاء اللفظ مجرداً منها، فالإشارة واللفظ شريكان، ونعم العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه، وما أكثر ما تنوب عن اللفظ وما تغني عن الخط (مقبل، ٢٠٢٦: ٥٢).

وتكمن أهمية هذه الآليات في أنها تجعل الأيديولوجيا ملموسة ومرئية، فلا تبقى الهويات مجرد أفكار مجردة، بل تتجسد في ملامح الوجوه ومصائر البشر، مما يضفي على النص القرآني بعداً بصرياً يجعل العقائد محسوسة وملموسة، يتحول الجسد في القرآن من كونه مجرد مادة بيولوجية إلى نص دال يحمل معاني متعددة تتجاوز الوصف العضوي إلى التأويل الرمزي والأيديولوجي (يوسف، ٢٠١١: ٦).

٣-١. آلية الثنائيات المتقابلة

تتجلى آلية الثنائية في تقسيم العالم إلى نقيضين متقابلين من خلال الأيقونات الجسدية ذاتها، حيث يقدم القرآن أيقونات متضادة تعبر عن هويات متضادة: بياض الوجه يقابله سواده، والنضارة تقابلها البسورة، والإسفار يقابله الاغبرار، وإقرار العين يقابله شخوصها، واطمئنان القلب يقابله ختمه ومرضه. ويتجسد هذا في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ (آل عمران: ١٠٦)، حيث تتحول هذه الثنائية الجسدية المحضة إلى ثنائية أيديولوجية كبرى هي ثنائية الإيمان والكفر، والجنة والنار، والنعيم والعذاب. وتتسع هذه الثنائية لتشمل حالات العين المختلفة، ففي قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ (القيامة: ٢٢-٢٥)، تقابل النضرة البسورة، والنظر إلى الرب نظرة النعيم يقابلها ظن العذاب الأليم. التصوير بالحركة أوقع في النفس، وأدعى لرسوخ المشهد، وهذه الثنائيات الجسدية تعكس حقائق كونية موحدة، إذ ترتبط السعادة بالبياض والفرح، والحزن بالسواد والكآبة، مما يجعل هذه الثنائيات أدوات فعالة في تشكيل الهوية البصرية وترسيخ التمايز بين المؤمنين والكافرين (مقبل، ٢٠٢٦: ٥٣). وتتجاوز الثنائية الأيقونية في القرآن مجرد التضاد البصري إلى بناء نظام أخلاقي متكامل، فبياض الوجه ونضارته لا يعكسان فقط فرح الآخرة، بل يرتبطان في الدنيا بطاعة الله والإقبال عليه، كما في وصف المؤمنين الذين ﴿تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ (المائدة: ٨٣)، حيث يتحول فيضان الدمع إلى أيقونة تميزهم عن المنافقين والكافرين. يوظف القرآن الفطرة الجسدية المشتركة بين البشر في بناء هذه الثنائيات، حيث ترتبط السعادة بالبياض والفرح والحزن بالسواد والكآبة، مما يؤكد أن الإشارات الجسدية في القرآن تعكس حقائق كونية موحدة (بن يونس، ٢٠١٥: ٢٢١).

٣-٢. آلية الإسقاط العاطفي

تقوم آلية الإسقاط على إسقاط العواطف البشرية الطبيعية على المشاهد الدينية، بحيث يتم تغليف الأفكار الأيديولوجية بحلة عاطفية جاذبة ومؤثرة، مما يجعل الهوية البصرية محملة بمشاعر قوية تعزز التمايز بين الذات والآخر. فدوران العين عند الخوف وهو استجابة جسدية فطرية، يُسقط على المنافقين في مواقف القتال ليكشف حقيقتهم، كما في قوله تعالى: ﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ (الأحزاب: ١٩)، حيث تُسقط العاطفة الطبيعية للخوف على

المشهد الجهادي لفضح المنافقين وإظهار ترددهم وجبنهم، مما يحول هذه الحركة العينية الطبيعية إلى أيقونة هوياتية تميز المنافقين عن المؤمنين. تصور هذه الحركة حالة الفزع الذي يسيطر على المنافقين حينما تنزل سورة من القرآن فيها أمر بالقتال، فيشعرون أنهم في مأزق لا يستطيعون الخروج منه، وينظرون إلى الرسول نظرات المغشيّ عليه من الموت الذي فقد القدرة على الحركة، وتبقى هذه الصورة ثابتة في النفس لا يمكن أن تحل محلها أي لفظة أو عبارة أخرى (مقبل، ٢٠٢٦: ٥٣). وكذلك سواد الوجه عند البشرى بالأنثى وهو استجابة فطرية للغيظ والكمد، يُسقطه القرآن على المشركين ليكشف تناقضهم الأيديولوجي، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (النحل: ٥٨)، حيث يصبح سواد الوجه أيقونة فضح وتناقض تعكس هوية المشركين المضطربة. ويتسع الإسقاط العاطفي ليشمل حركات اليد المختلفة، ففي قوله تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا﴾ (الكهف: ٤٢)، تُسقط حركة تقليب الكفين التي هي استجابة طبيعية للندم والحسرة على صاحب الجنة الذي أهلك الله جنته، فتصبح هذه الحركة أيقونة للندم الأيديولوجي على التفريط في طاعة الله والإشراك به. إن هذه الحركة تعبر عن الندم والحسرة والتحسر بمجرد رؤيتها دون نطق بكلمة واحدة، مما يجعلها أداة فعالة في إيصال المعنى وتثبيته (مقبل، ٢٠٢٦: ٥٤). وتظهر آية عض اليدين في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ (الفرقان: ٢٧)، أن هذه الحركة تنبع من طبيعة الإنسان الفطرية في التعبير عن الندم الشديد والحسرة عند فوات الأمر، ثم تُسقط على مشهد القيامة لتعكس أعمق معاني التوبة الفائتة والتحسر الأبدي، فلا يكتفي الظالم بعض يد واحدة بل يعض كلتا يديه مبالغة في إظهار ندمه الذي لا توفيه الألفاظ حقه (مقبل، ٢٠٢٦: ٥٥).

٣-٣. آلية التثبيت الأيديولوجي

تعمل آلية التثبيت على تثبيت الأيديولوجيا وتأكيدها من خلال الربط بين الأيقونات الجسدية والقدرة الإلهية والعدل الإلهي، بحيث تصبح هذه الأيقونات أدوات لتثبيت الهوية في أذهان المؤمنين وفي واقع المشهد الأخروي. وختم القلب هو إجراء إلهي يمنع وصول الهداية إلى القلب، كما في قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ (البقرة: ٧)، حيث يتحول الختم الجسدي إلى أيقونة هوياتية تؤكد عدالة الله في عقابه للكافرين والمستكبرين، وترسخ فكرة أن الجزاء من جنس العمل، وأن الإعراض عن الحق يؤدي إلى الحرمان من الهداية، وبالتالي تثبيت هوية الكافرين كجماعة مغلقة على نفسها لا تهدى. وكذلك تثبيت بياض الوجه ونضارته كأيقونة هوياتية للمؤمنين في الآخرة، وسواده واغبراره كأيقونة للكافرين، يعمل على تثبيت الحدود بين الفئتين وجعل المصير الأبدي مشهوداً ومعلناً، كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ (آل عمران: ١٠٦). هذه الأيقونات الجسدية في الآخرة ليست مجرد أوصاف عارضة، بل هي تجسيد لحقائق إيمانية وكفرية ثابتة، مما يجعل التثبيت الأيقوني أداة مركزية في ترسيخ الهويات وجعل المصائر محسوسة ومشهودة (الطباطبائي،

١٩٩٤: ٩٣/٧). ويظهر التثبيت الأيقوني بوضوح في تكرار الصور الجسدية المرتبطة بالمؤمنين والكافرين في آيات متعددة، كتكرار وصف الوجوه الناضرة المسفرة للمؤمنين في سورتي القيامة وعبس، وتكرار وصف الوجوه الباسرة المغبرة للكافرين في المواضع نفسها، مما يجعل هذه الأيقونات تتكرس في الوعي الجمعي كعلامات ثابتة للهوية لا تقبل التبديل أو التغيير. وتتسع آلية التثبيت لتشمل حركات الجسد التي تتكرر في القرآن كعلامات هوياتية ثابتة، كعبوس الوجه الذي تكرر في وصف الكافرين في مواضع عدة، وفي قصة ابن أم مكتوم التي عاتب الله فيها رسوله على عبوسه وتوليه، مما يثبت أن العبوس أيقونة ثابتة تدل على الانقباض والنفور، كما أن إسفار الوجه وإشراقه أيقونة ثابتة تدل على الانشراح والقبول (مقبل، ٢٠٢٦: ٥٢-٥٣).

وتتفاعل هذه الآليات الثلاث فيما بينها لتشكيل نظام سيميائي متكامل، حيث تعمل الثنائية على تقسيم العالم إلى معسكرين متقابلين، ويعمل الإسقاط على تحميل هذه الثنائيات بشحنات عاطفية قوية، ويعمل التثبيت على تأكيد هذه الثنائيات وجعلها ثابتة في الوعي الجمعي وفي المشهد الأخروي. وهذا التفاعل يجعل الأيقونات الجسدية وسيلة فاعلة لترسيخ الحدود بين الذات المؤمنة والآخر الكافر، ولجعل الهويات الإيمانية والكفرية مرئية ومحسوسة ومشهودة في الدنيا قبل الآخرة، مما يعزز الانتماء الديني ويدفع إلى الالتزام بالمعايير الأخلاقية والدينية. تعمل هذه الآليات على إظهار خبايا النفوس، وإبراز المعنى على حقيقته وتجسيده، وتعظيم الانفعال بحيث يؤثر في النفس، ويؤدي الغرض الديني في الترهيب والترغيب، وتجذير القيم الإسلامية، إلى جانب الغرض البلاغي في إظهار الصورة على أبلغ وجه.

٤. الأنا والآخر في الأيقونات الجسدية

يقوم القرآن من خلال أيقوناته الجسدية بعملية تصنيفية دقيقة تهدف إلى ترسيم الحدود بين الأنا المؤمنة والآخر الكافر، وهذه العملية لا تتوقف عند التمييز النظري بل تتجاوزه إلى التثبيت الأيديولوجي، حيث تصبح الأيقونات الجسدية أدوات لتجسيد الهويات وتثبيتها في وعي الجماعة وفي واقع المشهدين الدنيوي والأخروي. فالقرآن من خلال الصور الجسدية المرتبطة بالمؤمنين والكافرين في اليوم الآخر من سواد الوجوه وخشوعها وذل الأبصار، ومن بياض الوجوه ونضارتها وإسفارها، يعمل على بناء ثنائية هوياتية مؤلفة من الأنا والآخر، وتقسيم العالم إلى جماعة الإيمان وجماعة الكفر. والحركات الجسدية أقوى في الدلالة على المشاعر والانفعالات من التعبير اللفظي، لأنها أصوات حسية تعكس دلالات نفسية وتبرز مشاعر الإنسان، بل هي أولى بالدلالة من الألفاظ في بعض الأحيان لأنها توصل الدلالة بشكل كامل وتؤثر في المتلقي، وتفصح عما يدور في خلجات النفس من انفعالات وأحاسيس، وهذا ما يجعل الأيقونات الجسدية أدوات فعالة في التصنيف الهوياتي وكشف حقيقة الأنا والآخر.

فالمؤمنون يرسم لهم القرآن صورة جسدية بهية في الآخرة تتمثل في الوجوه الناضرة البيضاء والأبصار المطمئنة والقلوب المنشرحة، كما في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (القيامة: ٢٢-٢٣) وقوله: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ (آل عمران: ١٠٦). وهذه الصور ليست مجرد وصف لحالهم، بل تشكل أيقونات هوياتية تمثل الأنا الجمعية للمؤمنين، وتعكس نعيم الجنة وفوزهم برضوان الله واطمئنانهم الإيماني الذي كانوا يعيشونه في الدنيا. يتحول الجسد في القرآن يتحول من كونه وعاءً بيولوجياً إلى نص دال يحمل معاني متعددة تتجاوز الوصف العضوي إلى التأويل الرمزي والأيديولوجي، مما يجعل هذه الأيقونات الجسدية أدوات فعالة في تشكيل الهوية الجماعية. وهذه الأيقونات تجعل هوية المؤمنين مشهودة ومعلنة، وتكرس في وجدانهم شعوراً عميقاً بالانتماء إلى جماعة النجاة والفلاح، مما يعزز التماسك الداخلي والولاء للجماعة المؤمنة. ويتجلى هذا التمايز الأيقوني أيضاً في وصف المؤمنين في الدنيا، حيث يصفهم القرآن بتغير ملامحهم عند سماع آيات الله، كما في قوله تعالى: ﴿تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ (المائدة: ٨٣)، فهذه الأيقونة الجسدية تميز المؤمنين في الدنيا قبل الآخرة، وتجعل هويتهم الإيمانية مكشوفة للآخرين، وتكرس في نفوسهم شعور الانتماء إلى جماعة الحق.

في المقابل، يرسم القرآن صورة جسدية مغايرة تماماً للكافرين تتمثل في الوجوه المسودة والأبصار الخاشعة والذلة التي ترهقهم، كما في قوله تعالى: ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ (القلم: ٤٣)، وقوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ (عبس: ٤٠-٤١)، حيث تجسد هذه الصور الخزي الأبدي والعذاب المستمر والهوان بعد العزة التي كانوا عليها في الدنيا، مما يحولها إلى أيقونات هوياتية تمثل الآخر المنبوذ، وتجعل هوية الكافرين متسمة بالعار والخزي. يوظف القرآن لغة الجسد بشكل مختلف بين المؤمنين والكافرين؛ فالكفار يستخدمونها للاستهزاء والإنكار والتحقير، بينما يستخدمها المؤمنون للتعبير عن الحزن والسرور والخجل، مما يجعل هذه الأيقونات الجسدية أداة فعالة في تمييز الهويات وكشف حقيقة كل جماعة. ويتسع هذا التصنيف الهوياتي ليشمل أوصافاً جسدية أخرى للكافرين في الدنيا، كقوله تعالى في وصف المنافقين الذين يستهزئون بالمؤمنين: ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (التوبة: ١٢٧)، وهذه النظرات المتداولة بين المنافقين تكشف عن هويتهم الحقيقية وتفضح ما في نفوسهم من خوف وتردد.

وتبرز أيقونات الهوية الجسدية للمنافقين من خلال عيونهم الدائرة وقلوبهم المريضة ووجوههم المتغيرة، كما في قوله تعالى: ﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ (الأحزاب: ١٩)، وقوله: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ (البقرة: ١٠)، حيث تكشف هذه الأيقونات حقيقة المنافقين وتفضح نفاقهم، فلا يعود بوسعهم التخفي أو التظاهر بالإيمان، بل تفضحهم لغة أجسادهم وتكشف ما في بواطنهم، وتجعل هويتهم الحقيقية مرئية للجميع. تصور هذه الحركة حالة الفزع الذي يسيطر على المنافقين

حينما تنزل سورة من القرآن فيها أمر بالقتال، فيشعرون أنهم في مأزق لا يستطيعون الخروج منه، وينظرون إلى الرسول نظرات المغشيّ عليه من الموت الذي فقد القدرة على الحركة، وتبقى هذه الصورة ثابتة في النفس لا يمكن أن تحل محلها أي لفظة أو عبارة أخرى. وهذه الأيقونات لا تقتصر على المشهد الجهادي، بل تمتد لتشمل حالات أخرى للمنافقين، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ (آل عمران: ١١٩)، فهذه الحركة الجسدية لعض الأنامل تكشف عن كراهية المنافقين للمؤمنين وبغضهم لهم، مما يحول هذه الاستجابة الجسدية الطبيعية للغيظ إلى أيقونة هوياتية تفضح حقيقة المنافقين وتجعل هويتهم مكشوفة للمجتمع المؤمن.

كما يرسم القرآن أيقونات جسدية خاصة بالمشركين تتمثل في سواد الوجه عند البشرى بالأنثى، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (النحل: ٥٨)، حيث تكشف هذه الأيقونة تناقضهم الأيديولوجي الذي يجعلهم ينسبون البنات إلى الله مع كراهيتهم الشديدة لهن، مما يجعل هويتهم متسمة بالتناقض والظلم. فهذه الصور الجسدية تعكس التناقض الأيديولوجي للمشركين، وتجعل هويتهم مكشوفة ومشهودة أمام المجتمع، مما يعزز في نفوس المؤمنين الرفض لمعتقداتهم وتمسكهم بعقيدتهم. وتتسع أيقونات المشركين لتشمل أوصافاً جسدية أخرى كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ (لقمان: ٧)، فهذه الصورة الجسدية للإعراض والاستكبار تكشف عن هوية المشركين الذين لا يريدون سماع الحق، وتجعل رفضهم للإيمان أيقونة بصرية محسوسة. وقوله تعالى في وصف الوليد بن المغيرة: ﴿ثُمَّ نَظَرَ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ﴾ (المدثر: ٢١-٢٣)، حيث تتكامل هذه الحركات الجسدية من نظر وعبوس وإدبار واستكبار لتشكل أيقونة مركبة تعكس هوية المشرك المتكبر الذي يعرف الحق ويجادل فيه عناداً واستكباراً (مقبل، ٢٠٢٦: ٧).

وتنتقل عملية التصنيف هذه إلى مرحلة التثبيت الأيديولوجي من خلال تكرار هذه الأيقونات الجسدية في سياقات متعددة، وربطها بالمصير الأخروي، وتأكيدها عبر آليات الثنائية والإسقاط والتثبيت، بحيث تصبح هوية المؤمنين والكافرين والمنافقين والمشركين أيقونات جسدية ثابتة في الوعي الجمعي، لا تقبل التغيير أو التبديل. فإن النص القرآني هو الأساس والأصل الذي يبنى عليه هذا المنهج، حيث وظف النص القرآني الدلالة الجسدية في التعبير عن الانفعالات بطريقة دلالية تفوق الوصف. وهكذا تتجلى الوظيفة الأيديولوجية لهذه الأيقونات الجسدية في بناء هويات جماعية متمايزة، تجعل الإيمان والكفر مرئيين ومحسوسين، وتكرس الانتماء والولاء في قلوب المؤمنين، وتضفي على النص القرآني بعداً بصرياً يجعل العقائد محسوسة وملموسة، مما يعزز أثرها التوجيهي والتربوي في نفوس المخاطبين. يُظهر التعبير الحركي في القرآن خبايا النفوس، ويُبرز المعنى على حقيقته ويجسده، ويعمق الانفعال بحيث يؤثر في النفس، ويؤدي الغرض الديني في الترهيب والترغيب، وتجذير القيم الإسلامية، إلى جانب الغرض البلاغي في إظهار الصورة على أبلغ وجه.

الخاتمة

تم تحول القرآن من الدال الجسدي إلى الأيقونة الهوياتية عبر عملية تأويلية ترتقي بالحركات والهيئات الجسدية من مستواها البيولوجي إلى مستوى الدلالة الإيمانية، من خلال ربط كل حالة جسدية بحالة نفسية ثم بمصير أخروي يحمل هوية صاحبه. فقد تجلّى هذا التحول في حركات العين كشخوصها الذي صار أيقونة للخوف من أهوال القيامة، وزوغانها أيقونة للحيرة، وفيضانها أيقونة للصدق الإيماني، وابيضاضها أيقونة للصبر، وإقرارها أيقونة للرضا والاطمئنان. وكذلك في ملامح الوجه حيث تحول بياضه ونضارته إلى أيقونة لنعيم الجنة، وسواده واغبراره إلى أيقونة للخزي الأبدي، وعبوسه إلى أيقونة لرهبة العذاب، وإسفاره إلى أيقونة للفرح الإيماني. وأيضاً في أحوال القلب حيث تحول ختمه وطبعه إلى أيقونة للطرد الإلهي، واطمئنانه إلى أيقونة لصحة الإيمان، ومرضه إلى أيقونة للنفاق، وانشراحه إلى أيقونة لقبول الهداية، وزيغه إلى أيقونة للانحراف الأيديولوجي. وهكذا صار الجسد كله أيقونة ناطقة بالهوية تجعل الإيمان والكفر مرئيين ومحسوسين.

أسفر التحليل عن وجود أربع آليات سيميائية متكاملة: فآلية الثنائية تقوم على تقسيم العالم إلى نقيضين متقابلين كبياض الوجه وسواده، وإقرار العين وشخوصها، واطمئنان القلب وختمه، فتتحول هذه الثنائيات الفيزيولوجية إلى ثنائيات أيديولوجية هي الإيمان والكفر والجنة والنار. وأما آلية الإسقاط فتعمل على تغليف الأفكار الأيديولوجية بحلة عاطفية بإسقاط العواطف الطبيعية كالخوف والفرح والندم على المشاهد الدينية لتتحول إلى أدوات لكشف النفاق وتجسيد الجزاء. وأما آلية التثبيت فترسخ الأيديولوجيا من خلال الربط بين الأيقونات الجسدية والقدرة الإلهية، كختم القلب وتثبيت بياض الوجه للمؤمنين وسواده للكافرين. وأخيراً تقوم الجدلية بين الفطرة والتشريع على تحويل الأفعال الجسدية الفطرية كالسجود والركوع وتغير ملامح الوجه إلى شعائر دينية وهوية جماعية، فتنقلب الغريزة إلى طقس مقدس يجسد الانتماء ويفرق بين الذات والآخر.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أبوعياش، نضال، (٢٠٠٥). الاتصال الإنساني من النظرية إلى التطبيق، فلسطين: كلية فلسطين.

الأغبر، بسام بن مصباح طه، (٢٠٢٣). «لغة الجسد في سورة عبس: دراسة سيميائية إحصائية». اللسان العربي، المجلد ٢٣، العدد ٨٣، صص ٥٧-٩٢.

أيدن، حياتي؛ إبراهيم، عبدالرزاق إسماعيل، (٢٠٢٤). «أعضاء جسم الإنسان الواردة في القرآن الكريم دراسة دلالية موضوعية»، مجلة كلية الإلهيات بجامعة فرات، المجلد ٢٩، العدد ٢، صص ١٦-٣٩. DOI:١٠،٥٨٥٦٨/firatilahiyat.١٤٤١٥٨٥

بن يونس، شهرزاد، (٢٠١٥). «لغة الجسد في القرآن الكريم: مقاربة سيميولوجية لحركتي العين واليد»، العلوم الإنسانية، المجلد ٢٦، العدد ٢، صص ٢٠٣-٢٢٤.

ربايعة، أسامة جميل عبد الغني، (٢٠١٠). لغة الجسد في القرآن الكريم، رسالة الماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين.

الطباطبائي، سيد محمد حسين، (١٩٩٤). الميزان في تفسير القرآن، ط ٥، طهران: دار الكتب الإسلامية.

عبد، إنعام جبار، (٢٠١٩). «القلوب في القرآن الكريم»، مجلة ديالي، المجلد ٢٠ العدد ٨٢، صص ٣٧١-٤٠٣. doi: ١٠,٥٧٥٩٢/djhr.v١i٨٢,١١٨٠

العبودي، ضياء مروة غني؛ العبودي، غني، (٢٠١٦). «العين وأفعالها في القرآن الكريم دراسة دلالية»، الإشعاع، المجلد ٣، العدد ٦، صص ١٢٥-١٤٨.

عطاشی، عبدالرضا، (١٣٩٧). «بررسی بلاغی دلالت‌های زبان بدن در قرآن کریم: مطالعه موردی زبان دست»، زبان و ادبیات عربی، المجلد ١٠، العدد ١٨، صص ١٤٩-١٦٦.
doi: ١٠,٢٢٠٦٧/jall.v١٠i١٨,٦٣٧٨٩

المعادي، زينب، (٢٠٠٤). «الجسد الأنثوي وحلم التنمية: قراءة في التصورات عن الجسد بمنطقة الشاوية»، بيروت: الدار البيضاء.

مقبل، هالا سعيد محمد، (٢٠٢٦). «التعبير بحركة الجسد في القرآن الكريم: دراسة دلالية»، مجلة فكر، المجلد ١٣، العدد ٤٦، صص ٥٢-٥٥.

نعيم أميني، أم سلمه، (١٣٨٨). «جستاری در مفهوم‌شناسی ختم و طبع بر قلب از منظر قرآن»، پژوهش‌های قرآنی، المجلد ١٥، العدد ٦٠، صص ٢٥٤-٢٩١.

يوسف، ولد النبية، (٢٠١١). دلالة الحركات الجسدية في الخطاب القرآني، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، الجزائر.